١٨

التفكير الناقد
برؤية إسلامية

م. أحمد إياد أنور الأعظمي

كلية الامام الاعظم الجامعة

قسم اللغة العربية/ تخصص مناهج وطرائق تدريس

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

تمهيد

تحتل مهارة النقد أهمية في التربية بصورة عامة، وفي التربية الإسلامية بصورة خاصة، شأنها في ذلك شأن مهارات التفكير الأخرى. ذلك أن التربية الإسلامية تدعو المرء أن يكون ناقداً بعد أن يكون مقلِّداً ومحاكياً، في أول عهده. ولكنه بعد أن يستوي على عوده ويستغلظ، لابد له أن ينهج منهجاً خاصاً ينأى بشخصيته عن التقليد الأعمى، الذي يحرمه من الإبداع، ويوقعه في مزالق أخطاء الذين يقلدهم يغير وعي، فيخسر احترام الناس، بسبب كونه إمّعة الواردة في نهي النبي ﷺ: (لا تكونوا إمَّعة؛ تقولون إن أحسَنَ الناسُ أحْسَنّا، وإنْ ظَلَموا ظَلَمْنا، ولكنْ وَطِّنُوا أنفُسَكُم، إنْ أحسَنَ النّاسُ أن تُحْسِنوا وإنْ أساءُوا فَلا تَظلِموا)[1].

التفكير نشاط عقليّ يميز الإنسان عن غيره مما يدب على الأرض، وعن طريقه يستطيع التوصل إلى تفسير كثير من المظاهر. فالتفكير عملية ملازمة للإنسان مادام يتميز بالعقل في عصوره كلها، منذ برأه الله وأمره بها، فالاهتمام بالتفكير قديم قدم الإنسان.

وخلال مراحل مختلفة من رحلة الحضارة الإنسانية قدم الفلاسفة والرياضيون تصورات وبراهين ونظريات جديدة، وانهمكَ الفلاسفة وعلماء الكلام وعلماء البلاغة في تحليل التراث الإنساني بما يتضمنه من جدل وحوار واستخدام الاستنتاجات والبراهين وتقديم تفسيرات لطبيعة هذه العمليات. وغالباً ما تتعدد التعريفات للمفاهيم النفسية، وينطبق هذا على مفهوم العمليات العقلية العليا، الذي يمكن أن يُعالج برؤى مختلفة تبعاً لمدارس علم النفس، أو تبعاً لبحوث فردية حول أحد أوجه التفكير. (الجنابي ١٩٩٢، ص٢٢ص٢٣)

ولكن الدراسات العلمية الحديثة لموضوع التفكير لم تلقَ حيزاً في المؤلفات النفسية والتربوية بما يناسب أهميته، حتى النصف الثاني من القرن العشرين. فعلى سبيل المثال وجد (جيلفورد Guilford) أن هناك ما يقرب من (٢٠٠) مصدر حول التفكير الابتكاري بين ما يقرب من (١٢١٠٠٠) عنوان من الملخصات النفسية عبر (٢٣) سنة. وإن استعراض تاريخ الجهود والأعمال التجريبية في مجال التفكير يتضمن أعمال هيمفري Humphrey وجونسون، Johnson وروسل، Russell وولفورد، Wolford العلمية حول التفكير. (الجنابي ١٩٩٢، ص٢٢). ومفهوم التفكير افتراضي يشير إلى عملية داخلية تُعزى إلى نشاط ذهني معرفي تفاعلي انتقائي قصدي موجّه نحو حل مشكلةٍ ما أو اتخاذ قرار معين، أو إشباع رغبة في الفهم، أو إيجاد معنى أو إجابة عن سؤالٍ ما. ويتطور التفكير لدى فرد تبعاً لظروفه البيئية المحيطة. (عبد الحليم ١٩٩٦، ص٣٣)

ينبغي الإشارة إلى أنّ تعدد أنماط التفكير متداخلة وليس ثمة نمط مستقل عن آخر. ومن أجل تحديد أنماط التفكير وفهمها، التي يمكن تقصي أبعادها

(١) رواه الترمذي ٤/ ٣٦٤.

في المؤلفات النفسية فقد تيسّر تحديد سبعة أنماط من التفكير، هي:

١- التفكير العلمي Scientific Thinking
٢- التفكير المنطقي Logical Thinking
٣- التفكير الناقد Critical Thinking
٤- التفكير الإبداعي Creative Thinking
٥- التفكير الخرافي Superstition Thinking
٦- التفكير التسلطي Dominant Thinking
٧- التفكير التوفيقي أو المساير Compromising Thinking

(قطامي ٢٠٠١، ص٣٦)

وذكر (جروان ١٩٩٩م) أكثر من عشرين نوعاً من التفكير منها: (الفعّال، المتقارب، والمنتج، والناقد، والإبداعي، والرياضي، والمجرَّد، والمتباعد، والعلمي، واللفظي،) وغير ذلك. (جروان، ١٩٩٩م ص٣٤)

التفكير الناقد

إنّ للتفكير في علم النفس معنيين: فمن العلماء مَن يقصره على الاستدلال وهو النشاط العقلي الذي يستهدف حل مشكلة والوصول إلى نتيجة أو قرار. ومنهم مَن يطلقه على كل نشاط عقلي، مادتُه الصور الذهنية أو المعاني أو الألفاظ. وهو بهذا المعنى يشمل التصور أو التخيل والتذكر والفهم والتمييز والتجريد والتصميم والاستنتاج والتحليل وغيرها من العمليات العقلية، التي تؤدي إلى المعرفة والحكم. ويعتقد أن التعريفات المتعددة للتفكير لا تختلف في رؤيتها لنوع التفكير وطبيعته، وإنما في درجته ومستواه، وإنّ محتوى التفكير أياً كان مستواه هو (إدراك العلاقات). ففي التخيّل والتذكر إدراك علاقات بين خبرات ماضية وحاضرة، وبين الخبرات الحاضرة فيما بينها، والحكم إدراك علاقة بين معنيين، والاستنتاج إدراك علاقة بين مقدمات ونتائج، والتعليل إدراك علاقة بين علةٍ ومعلول، والفهم إدراك علاقة بين معلوم ومجهول، والتعميم إدراك علاقة بين عام وخاص، والمعنى يقوم على إدراك علاقة بين اللفظ وغرضه. (راجح ١٩٥٥، ص٢٨٠-٢٨١)

مما سبق يتضح أنه ليس للتفكير تعريفٌ واحد، ولكن يمكن القول بأن التفكير أسلوبٌ من أساليب السلوك، يحدث عندما يواجه الفرد موقفاً يكون له هدف معين يريد الوصول إليه ولا يستطيع، بسبب وجود صعوبة غير مألوفة تدفعه إلى البحث عن طريقةٍ يتغلب فيها على المشكلة التي تواجهه، فإذا تمكن من الحل انتهت عملية التفكير واستأنف سلوكه المعتاد. وهكذا فإن طبيعة المشكلة هي التي تحدد أسلوب التفكير. (الجنابي ١٩٩٢، ص٢٥)

وقد حظي التفكير بوصفه عملية عقلية باهتمام علماء النفس، ولا سيّما في النصف الثاني من القرن العشرين وبلورت الدراسات في هذا الموضوع اتجاهاً جديداً في مجالات علم النفس المعاصر، هو ما يمكن الاصطلاح عليه بعلم النفس المعرفي، وقدمت هذه البحوث أنماطاً عدة للتفكير؛ منها حل

المشكلات، والتفكير الابتكاري، والتفكير الناقد. (أبو حطب١٩٧٢، ص١)

واتجهت البحوث في مجال التربية إلى تحديد الطرائق والأساليب والبرامج المناسبة لتحسين التفكير في حقل الدراسات الاجتماعية، وبخاصةٍ التي أفردت اهتماماً خاصاً لأحد صور التفكير الناقد. إذ يرى المربون انه المجال المناسب الذي يتيح فرصاً لتدريس مهاراته. (Unks ١٩٨٥ P.: ٢٤٤)

إن الاهتمام بالتفكير الناقد قديمٌ لدى العلماء والمفكرين والفلاسفة والتربويين ويمكن تتبع جذوره حتى أكاديمية أفلاطون. (الوهر، ١٩٩٨م، ص١٤٥).

ولكن حركة التفكير الناقد الحديثة بدأت فعلاً بالتربوي الأمريكي(جون ديوي John Dewey) في المدة بين عامي (١٩١٠م و١٩٣٩م)، الذي استعمل مصطلحات مثل (التفكير التأملي) و(التساؤل) ، ثم جاء (أدوارد جليسر E. Glasser) وآخرون في المدة (١٩٤٠م – ١٩٦١م) فأعطَوا معنىً أوسعَ لمصطلح التفكير الناقد ليشمل فحص العبارات ثم جاء (روبَرت أنِس Robert Ennis) وزملاؤه ليستثنوا التفكير بأسلوب حل المشكلات والأسلوب العلمي، ليتضمن تقويم العبارات فقط في المدة (١٩٦١م – ١٩٧٩م) ثم اتسعَ ليشملهما (التفكير بأسلوب حل المشكلات والأسلوب العلمي) من خلال جهود (أنِس Ennis) وذلك بين (١٩٨٠م – ١٩٩٢م) . (القيسي ٢٠٠١م، ص٤٥-٤٦)

وإنّ تنمية التفكير عموماً والتفكير الناقد خصوصاً، يمكّن من تنمية القدرات التي تساعد الفرد على أن يصحح تفكيره بنفسه، ويفكر تفكيراً عقلانياً ويحلل ما يعرفه ويستوعبه، ويتمكن من التفكير بمرونة وموضوعية، ليصبح قادراً على إصدار الأحكام الناقدة. وتتضمن قدرة التفكير الناقد تعليم المتعلِّم كيف يسأل، ومتى يسأل، وكيف يحلل، ومتى يحلل. ذلك أن الفرد يستطيع أن يفكر تفكيراً ناقداً، إذا كان قادراً على فحص الخبرة، وتقويم المعرفة والأفكار والحجج، من أجل الوصول إلى أحكام متوازنة. وهذه القدرة تبقى نافعة في إنتاج معلومات من أي نوع، وتمكننا من اكتساب المعرفة ومحاكمتها، بغض النظر عن المكان والزمان. (الوهر والحموري ١٩٩٨، ص١١٢)

تحديد المصطلحات

التفكير الناقد Critical Thinking:

١- عرفه (واطسون وجلاسَر) أيضاً بأنه: المحاولة المستمرة لاختبار الحقائق والآراء في ضوء الأدلة التي تسندها بدلا من القفز إلى النتائج. ويتضمن المجالات الآتية:

التفسير: هو العملية الفكرية التي يحكم بها الفرد على ما إذا كانت الاستجابات المقترَحة تترتب منطقياً على المعلومات المعطاة أم لا، على فرض أن هذه المعلومات صحيحة.

تقويم الحجج: العملية الفكرية التي يميز بها

الفرد بين الحجج القوية والحجج الضعيفة بناءً على أهميتها وصلتها بالسؤال المطروح.

الاستنتاج: هو العملية الفكرية التي يقوم بها الفرد بواسطتها بالتوصل إلى استنتاجات معيّنة بدرجات متفاوتة من الدقة بناء على حقائق وبيانات معطاة.

الاستنباط: العملية الفكرية التي يقوم بها الفرد لاشتاق نتائج من خلال الربط بين مجموعة معطاة من الحقائق.

معرفة الافتراضات: والافتراض هو نتيجة نسلّم بها في ضوء حقائق معيّنة، أو مقدّمات. (Watson & Glasser، ١٩٦٤، P.: ١٠)

٢- وعرفه (جُود Good) بأنه: نوع من التفكير يقوم على أساس التقويم الدقيق للمقدمات والشواهد، والوصول إلى نتائج في منتهى الحِذر، مع الأخذ بنظر الاعتبار العوامل ذات العلاقة بالموقف كلها. (Good ١٩٧٢، P.٤٢٤)

٣- وعرفه (خير الله) بأنه: نوع من التفكير يشمل إخضاع المعلومات التي لدى الفرد لعملية التحليل والفرز والتمحيص لمعرفة مدى ملاءمتها لما لديه من معلومات أخرى تأكد صدقها وثباتها، وذلك بغرض التمييز بين الأفكار السليمة والأخرى الخاطئة. (خير الله ١٩٧٨، ص١٠٦)

رغم اختلاف التعبير في ورود التعريفات إلاّ أنها جميعاً أرادت أموراً هي:

(١) التمييز بين الآراء الصحيحة والمسلّمات، وبين الآراء غير الصحيحة والتصورات الخرافية.

(٢) الدقة في إصدار الأحكام على الأمور المبنية على دليل صحيح، أو التي صدرت عن مصادر موثقة.

(٣) أكّدت كثيرٌ من التعريفات على التفكير المنطقي والاستدلال المنطقي، فتبين أن المنطق أساسٌ في هذا النوع من التفكير، ودون القفز إلى النتائج بغير تسلسل منطقي.

(٤) نبذ الهوى والتعصب لرأي اشتُهر بين الناس وشاع بينهم ونُقل إليهم دون شواهد كافية، والقفز إلى نتائج فكرية خطأ.

أثر الشريعة الإسلامية في تربية التفكير

يشترك الإنسان مع الحيوان في وظيفة الإدراك الحسّي، غير إن الإنسان يتميز عن الحيوان بما وهبه الله سبحانه وتعالى من عقل ومن قدرة على التفكير تمكنه من النظر والبحث في الأشياء والأحداث. كاستخلاص الكليات من الجزئيات واستنباط النتائج من المقدمات. وإنّ قدرة الإنسان على التفكير هي التي جعلته أهلاً للتكليف بالعبادات وتحمل مسؤولية الاختيار والإرادة، وهذا ما جعله أهلاً لمهمة الخلافة بأمر الله في الأرض. (نجاتي١٩٨٨، ص١٢٧)

وطريقة الإسلام في التربية هي معالجة الكائن البشري كله شاملة لا تترك منه شيئاً ولا يغفل عن شيءٍ؛ جسمهِ وعقلهِ وروحه، حياتِهِ المادية والمعنوية ونشاطه على الأرض كله. (قطب ١٩٨٨، ص١٨)

والشريعة الإسلامية أساس عظيم للتربية

الإسلامية؛ فهي بمعناها الواسع بيان للعقيدة، ولتنظيم الحياة، وتنظيم العلاقات الإنسانية جميعها، فهي أساس فكري لتصور الإنسان عن الكون والحياة والإنسان وعلاقة الإنسان بذلك كله. وهي بهذا ترسم للمسلم صورة متكاملة لهذه العلاقات، ليعرف مبدأه ومصيره وقيمته ومكانته ووظيفته وهدفه، تصوغ عقل المسلم صياغة تجعله يفكر في كل ما يعمل، أو يريد عمله قبل الإقدام عليه، أي التصميم قبل التنفيذ، وهذا يربي الفرد المسلم على أن يفكر دائماً قبل أن يعمل، وأن يكون هادفاً ومتقناً ومنتجاً، نافعاً في كل ما يعمل. والشريعة تربي الإنسان على التفكير المنطقي عن طريق استنباط الأحكام التي لم تأتِ مباشرة في القرآن والسنة، وإن أحكام الشريعة فيهما بعمومها وشمولها، لم تأت لعلاج مواقف فردية، أو حالات جزئية خاصة، بل جاءت ليُستفاد منها في العصور كلها، ولدى كل موقف يصادف فرداً أو جماعةً من بني الإنسان. (النحلاوي ٢٠٠١، ص٦٢)، لذلك قال علماء الأصول: (العِبرة في عموم اللفظ لا بخصوص السبب) (الغزالي ١٩٩٣، ١/ ٢٣٦).

نزل القرآن الكريم مُحرِّراً للعقول الإنسانية من ظلمات التقليد والتبعية والكهانة والجهل والخرافة، ودعاها إلى التفكير السليم، والتدبّر الأمثل، والتمعن في خلق الله عزّ وجلّ، فكانت دعوة القرآن إلى استخدام العقل استخداماً جيداً لكل عمليات التفكير من: انتباه وإدراك وحفظ وتذكر، وتخيّل، وتجريد، وتصميم، وتحليل، وتركيب، ومحاكمة، وإبداع، وغيرها. (بديوي٢٠٠١، ص١٠٩)

واهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بالفكر الإنساني وأعطاه مكانته اللائقة به، وفتح النوافذ أمام النظر العقلي، فلا حجرَ على التفكير، ولا تعطيل لوظائف العقل. فجاء القرآن حافلاً بالآيات التي تحث المسلمين على التفكر والتأمل والتدبّر. نحو قوله تعالى: (... إنّ في ذلك لآياتٍ لِقومٍ يتفكّرون) (النحل/ ٦٩) وتكررت في سور عدة؛ (الروم/ ٢١، والجاثية/ ٤٥) وتكرر قوله تعلى: (يتفكّرون) في سور(آل عمران/ ١٩١) و(الأعراف/ ١٧٦) و(النحل/ ١١، ٤٤،٦٩) و(الرعد/ ٣) و(الروم/ ٢١) و(الزمر/ ٤٢) و(الجاثية/ ١٣) و(الحشر/ ٢١) وقوله: (ثم تتفكّروا) (سبأ/ ٤٦)

وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا...) (الأعراف/ ١٨٤) و(الروم/ ٨). وقوله تعالى: (تتفَكَّرون) (البقرة/ ٢١٩ و٢٦٦) و(الأنعام/ ٥٠) وقوله تعالى: (تتفَكَّروا) (سبأ/ ٤٦). و(لآيات لقوم يسمعون... ولقوم يعقلون... ولقوم يوقنون... ولأولي الألباب... ولأولي الأبصار... وللمتوسّمين) أي الناظرين المتأملين المتفرسين. (بديوي٢٠٠١، ص١٣١-١٣٢)

ويتضح حرص القرآن الكريم على دعوة الناس إلى التفكير، من ورود كثير من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، نحو: (أفلا يعقلون) (أفلا يتذكرون) (أفلا يتدبرون) (لعلكم تعقلون) (لعلهم يتفكرون) (إن كنتم تعقلون) (إن كنتم تعلمون) و(أَفَلا يَنْظُرونَ). وقد بين القرآن أهمية التفكير في حياة الإنسان، ورفع

من قيمة الإنسان الذي يستخدم عقله وتفكيره. فقال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعلَمونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمونَ) (الزمر/ ٩). وقد حطّ القرآن مِن شأن مَن لا يستخدم عقله وتفكيره بأن جعله أدنى درجةً من الحيوان فقال تعالى: (إنّ شرّ الدوابّ عند الله الصّمُّ البكمُ الذين لا يعقلون). (الأنفال/ ٢٢) وقوله تعالى: (لَهُمْ قلوبٌ لا يَفقَهونَ بِها، ولهُم أعيُنٌ لا يُبصِرونَ بها، ولهمْ آذانٌ لا يَسمَعونَ بها، أولئكَ كَالأنعامِ بلْ هُمْ أضَلُّ، أولئِكَ هُمُ الغَافِلُون) (الأعراف: ١٧٩).

وفي الشريعة الإسلامية تصور فكري سليم عن الكون بأسره والحياة برمّتها، والإنسان بجميع جوانبه، من خلال نظرة متعمّقة تشمل علاقة الإنسان بالكون والأحياء، وهي ترسم صورة منطقية، بحيث يدرك المرء منشأه، ومصيرَه، ومنزلته، ووظيفته، والتكاليف المطالَب بها، وحقوقه التي يتمتع من خلالها، فيُصاغ عقلُهُ صياغةً منظَّمةً، تجعله أكثر قدرةً على العطاء، وتوسّع مداركه ومدى تفكيره.

كما تقدم الشريعة الإسلامية للإنسان جملة قواعد فكرية، وطائفة من النظم السلوكية، تقوده نحو الدقة والتنظيم والوعي المنهجي، مما يجعله يفكر قبل الإقدام على أي عمل. (بديوي٢٠٠١، ص١٣٢)

وقد ورد في القرآن الكريم ما يقرب من (١٦) آية تدعو إلى التفكير، و(١٤٨) آية تدعو إلى التبصّر، وأكثر من (١٢) آية إلى استخدام أساليب التفكير ومهاراته مثل التفكير القياسي نحو قوله تعالى في سورة يس: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ). (يس: ٧٩)

وفي القرآن الكريم إشارات تحض الإنسان على التفكير السليم منها ما هو صريح، ومنها ما هو تلميح إذ إن التفكر في مخلوقات الله تعالى عبادة عظيمة. وقد شملت دعوة القرآن الكريم إلى التفكير في مجالات عدة. ويتضح ذلك في:

١- الدعوة إلى التفكر في آلائه نحو قوله تعالى: (قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ). (يونس: ١٠١)

٢- الدعوة إلى التفكر في خلقه نحو قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ). (آل عمران:١٩٠- ١٩١)

أما هذه الآية فقد قال عنها رسول الله ﷺ حين نزلت: (لقد أُنزِلتْ علَي اليومَ آيتان .. وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأهما ولَمْ يَتَدَبَّرْهما، وَيْلٌ لَهُ.. وَيْلٌ لَهُ) (ابن حبّان: ٢/ ٣٨٧).

«إنّ التعبير القرآني هنا، يرسم هنا صورةً حيةً من الاستقبال السليم للمؤثرات الكونية في الإدراك السليم. وصورة حيةً من الاستجابة السليمة لهذه المؤثرات المعروضة للأنظار والأفكار في صميم الكَون بالليل والنهار.

والقرآن يوجه القلوب والأنظار توجيهاً

مكرراً مؤكداً إلى هذا الكتاب المفتوح، الذي لا تفتأ صفحاته تقلّب، فتتبدى في كل صفحة آية موحية، تستجيش في الفطرة السليمة إحساساً بالحق المستقر في صفحات هذا الكتاب، وفي تصميم هذا البناء، ورغبةً في الاستجابة لخالق هذا الكون، مع الحُب له والخشية منه في ذات الأوان!! وأولوا الألباب، أولوا الإدراك الصحيح، يفتحون بصائرَهم لاستقبال آيات الله الكونية، ولا يُقيمون الحواجز، ولا يغلقون المنافذ بينهم وبين هذه الآيات. ويتوجهون إلى الله بقلوبهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فتتفتح بصائرهم وتشفّ مداركهم، وتتصل بحقيقة الكون التي أودَعَها اللهُ إياه، وتُدرك غاية وجوده، وعلة نشأته، وقوامَ فطرته، بالإلهام الذي يصل بين القلب البشري ونواميس هذا الوجود.

ومشهد السماوات والأرض، ومشهد الليل والنهار، لو فتحنا له بصائرنا وقلوبنا وإدراكنا.. لو تلقيناه مشهداً جديداً تتفتح عليه العيون أول مرة، لو استنقذنا حِسَّنا من هموده الإلْف و خمود التكرار لارتعشتْ له رؤانا ولا اهتزّتْ له مشاعرنا ولا أحسسنا أن وراء ما فيه من تناسق ووراء ما فيه من نظام لابد من عقل يدبر ؛ ووراء ما فيه من إحكام لا بد من ناموس لا يختلف .. وان هذا كله لا يمكن أن يكون خداعاً ولا يمكن أن يكون باطلاً». (قطب ١٩٧٨م: ٥٤٤-٥٤٥)

هذه من الآيات التي تحثّ العباد على التفكّر في المخلوقات المذكورة والتبصّر بآياتها، وتدبّر خلقها، وجاءت لفظة (آيات) نكرةً لكثرتها وعمومها. وقال (يتفكّرون) أي ليستدلّوا على المقصود منها؛ أي لتعلق قلوبهم بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يُشرك به سواه ممّن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرةٍ في السماء ولا في الأرض. وخَصَّ (أُوْلِيْ الأَلْبَابِ) وهم أهل العقول، لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم فقط. ودلّ هذا على أنّ التفكّر عبـادة وصفة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكَّروا بها عَرَفوا أنّ اللهَ لم يخلقْها عَبَثاً، فيقولون: {رَبَّنا مَا خلَقتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ} عن كل ما لا يليق. (السعدي ٢٠٠٤، ص١٩٦-١٩٧)

وقوله تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الإنسَانُ إِلَى طَعامِهِ} (عبَسَ: ٢٤) أي إلى مصدره. وقوله تعالى: {أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ. وإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} (الغاشية: ١٧-٢٠) وقوله تعالى: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} (ق: ٦).

٣-الدعوة إلى التفكر في نفس الإنسان وأحواله وأطواره نحو قوله تعالى: {وَفِي الأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ. وَفِيْ أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ}. (الذاريات: ٢٠-٢١)

٤-الدعوة إلى التفكر في حياة الشعوب والتفكر والتدبر في شؤونها من أجل الاعتبار، نحو قوله تعالى: {أفلَم يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدارُ الآخِرَةِ خَيرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوا أفلا تَعقِلون} (يوسف: ١٠٩) والعِبرة أن ما في

الآخرة أي الجنّة التي أعدَّها اللهُ لعبادِهِ المطيعين خيرٌ من الأرض وما عليها مهما جُمِلت وازَّيَّنت.

وقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وأَثَارُوا الأرضَ وَعَمَرُوها أكثرَ مِمَّا عَمَرُوها وَجاءَتْهم رُسُلُهُمْ بالبيّناتِ فما كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهم ولكنْ كانوا أنفُسَهُم يَظلِمونَ. ثُمَّ كانَ عاقبةَ الّذينَ أساءوا السُّوأى أنْ كَذَّبُوا بآياتِ اللهِ وكانُوا بها يَستَهْزِءِ ون}. (الرُّوم: ٩-١٠) وهذا مثل حواضر كانت معمورةً أهلكَها الله تعالى بسبب استهزائهم بآيات الله تعالى والتنكّر لتذكرة الأنبياء عليهم السلام.

ويُمكن للباحث القول: إن آيات القرآن الكريم من أولها إلى آخرها، تدعو العقل البشريَّ إلى إعمال العقل بالتفكير، بل إنّ التكليف يُرفَع عمّن لا عقل له، ويُعاقَب مَن لا يستعمل عقله بالتفكير، لأنه عصى الله تعالى بعدم استخدامه النعمة التي أمَرَه باستخدامها فيما ينفع.

والرسول ﷺ وجّه أمراً عاماً للمسلمين للتفكر في خلق الله، ونهاهم عن التفكر في ذات الله عزّ وجلّ، لأنّ الإنسان يستطيع أن يتوصل إلى عظمة الخالق عز وجلّ، بالتفكر في مخلوقاته، فمَن عرف دقة الخلق وإبداع الصنع توصل إلى معرفة جلال الصانع وعظمته. (عبدالله ١٩٩٧، ص١١٩-١٢٢)

وتساعد مهارات التربية الإسلامية المتعلم أن يفيد من كافة المصادر التي يحتاجها على نحوٍ متدرج، مستخدماً في ذلك كله المهارة العالية؛ ذلك أن مهارات التربية الإسلامية تقوده إلى أن يعتمد على نفسه عن طريق تفكيره الخاص وقدراته الذاتية، وهذا ما يتضح من التفكير المستقل الذي ربّى به الرسول ﷺ أصحابه الكرام، فعندما بعثَ معاذَ بن جبل إلى اليمن قاضياً قال له: (كيف تقضي)؟ قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: (فإن لم يكن في كتاب الله)؟ قال: فبسنّة رسول الله ﷺ. قال: (فإن لم يكن في سنّة رسول الله ﷺ)؟ قال: أجتهدُ رأيي. قال: (الحمدُ للهِ الّذي وفّقَ رسولَ رسولِ اللهِ ﷺ)[1]. (الترمذي: ٣/ ٦٠٧) ومن هنا يمكن القول: إن التربية الإسلامية من خلال ما تنميه لدى المتعلم من مهارات قد سبقت في تأكيد مبدأ استقلالية المتعلّم، وسعَت إلى تنمية شخصية المتعلم بشكل سليم، واهتمت بالمتعلم إيماناً منها بأن يبادر بنفسه، وأن يتعلم مما حوله من خلال ما يمتلكه من مهارات مختلفة.

تحتل مهارة النقـد أهمية كبيةً في التربية الإسلامية، شأنها في ذلك شأن مهارات التفكير الأخرى. ذلك أن التربية الإسلامية تدعو المتعلم أن يكون ناقداً، قبل أن يكون مقلِّداً ومحاكياً. عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تكونوا إمَّعة ؛ تقولون: إنْ أَحْسَنَ النّاسُ أحسَنّا، وإنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنا، ولكنْ وطِّنُوا أنفُسَكُمْ؛ إنْ أَحْسَنَ الناسُ أن تُحْسِنُوا، وإنْ أساءُوا فَلا تَظْلِمُوا)[2].

وكان الشافعيُّ رحمه الله، يَعُدُّ الذي يجمع العلم

(١) الترمذي، ٣/ ٦٠٧،برقم (١٢٤٩).

(٢) الترمذي، برقم ٤/ ٣٦٤، (١٩٣٠) عن حذيفة بن اليمان.

بدون نقد وتمحيص، كمَن يجمع حزمة الحطب فيحملها، ولعل فيها أفعى تلدغه، وهو لا يدري. وأورد الخطيب البغدادي، عن أبي نعيم قوله: (كنتُ أمرُّ على زُفر، فيقول: تعال أغربل لك أحاديثَك، فأريه ما سمعتُ، فيقول: هذا يؤخذ به، وهذا لا يؤخذ به، وهذا ناسخٌ وهذا منسوخ. وأورد عن سُليمان بن موسى قوله: "يجالسُ العلماءَ ثلاثةٌ: رجلٌ يسمع ولا يكتب ولا يحفظ، فذاك لا شيء، ورجل يكتب كل شيء فذاك الحاطب، ورجل يسمع العلمَ فيختبره ويكتبه فذاك العالم".[1]

وما نظام الشورى الذي أقرّه الإسلام وأمرَ الله به نبيَّهُ محمداً ﷺ أن يعمل بهِ ويأمر أتباعَه أن يعملوا به من بعده، إلاّ دليل على تربية الإسلام للفرد على التفكير وتنشئة الأجيال عليه. ويؤكد (العاني) هذا المعنى بإيراده (المشورة) بوصفها أحد أساليب الدعوة والتربية في سنة نبينا عليه الصلاة والسلام فيقول: "ومن فوائدها: إنها تنمّي العقل، وتفجّر طاقاته الكامنة، وتستثمر أجودَ ما فيها، وتدفع الجميع إلى حالة من الوعي والإدراك والتفكير المنطقي السليم، جاعلةً منهم عناصرَ خير مفيدة في المجتمع، متعاونةً في كل ما يُعلي شأنه.(العاني٢٠٠١، ص٢٣١). والشورى تدرّب المستشار على المساهمة في الحكم والإدارة، وتعينه بالتجربة وجَودة الرأي والتفكير، وإنها خير وسيلة تكشف عن القدرات، وبها يظهر المقتدرون وتستفيد الأمة من قابلياتهم.(أبو فارس ١٩٨٨، ص١٠) وحادثة استشارة النبي ﷺ أصحابَه قُبيل غزوة بدر ومشورة الحبّاب بن المنذر رضي الله عنه، عليه ليست عنا ببعيدة. وهكذا عمل الفقهاء والعلماء والفلاسفة المسلمون من بعدُ، فتركوا لنا هذا الكم الهائل من القواعد والأحكام المستنبطة.

ويؤكد القرضاوي (١٩٩٠) أنه لابد مع التربية الإيمانية، التي هي الأساس والقاعدة للبناء الأخلاقي لطلائع الحركة الإسلامية وقيادات المستقبل- من تربية فكريـة راسخة مؤسسة على الفقه. والإيمان لا يتعارض مع العقل والفكر، بل يُبنى عليه ويتغذى منه، والمؤمنون -في نظر القرآن- (أولو الألباب) والعقل عند محققي الأمة أساس النقل، فلولاه ما استُدِلّ على وجود الله، ولا على إثبات النبوة. والقرآن بتعاليمه يُنشئ (العقلية العلمية) التي تتعبد بالفكرة، وتؤمن بالبرهان، وترفض الخرافة، وتُنكر التقليد للآباء أو للسادة والكبراء. ولا نعني بالفكر العلمي ما يتعلق بالعلوم البحتة والتطبيقية، وإن كان هذا فرضاً على المسلمين، بل نعني به ذلك الفكر الذي لا يقبل دعوى بغير دليل، ولا نتائج بغير مقدّمات، ولا يقبل من الأدلة إلاّ الموثق، ولا من المقدمات إلاّ اليقيني الذي لا يُرتابُ فيه. (القرضاوي١٩٩٠، ص٩٣-٩٤)

كيف يحدث التفكير؟

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم، استطعنا أن نستلهم

(١) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٢١٩.

منه تعريف التفكير، ونتوصل إلى معرفة كيفية حصوله بالتدبر في قوله تعالى: {وعلّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلى المَلائِكَةِ فقالَ أنبئوني بأسْماءِ هؤلاءِ إنْ كُنتمْ صادقين. قالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلاّ مَا علّمتَنا إنَّكَ أنْتَ العَلِيمُ الحَكيمُ. قالَ يا آدمُ أنبئهم بأسمائهم فلمّا أنْبَأَهُم بِأسمائِهِمْ قال ألَمْ أقلْ لَكُمْ إنيِّ أعْلَمُ غَيبَ السمواتِ والأرض وأعلمُ ما تُبدونَ وما كنتم تكتمون}. (البقرة/ ٣١-٣٣)

فآدمُ عليه السلام وهو الإنسان الأول، قد عرض اللهُ عليه الأشياءَ وعلّمه أسماءَها، ثم عرض تلك الأسماءَ والمسمياتِ على الملائكة، فلم يستطيعوا فهمها، مع إنّ واقع تلك المسميات كانت معروضةً أمامهم، كما كانت معروضةً أمام آدم عليه السلام، وأحسّوا بها كما أحسَّ بها آدمُ، ولكن لم يستطيعوا فهمَها وإصدارَ الحكم عليها، لعدم وجود سابق معرفة بها، في حين إنّ آدم استطاع أن ينبئهم بأسماء تلك المسميات، لوجود سابق معرفة لديه من الله تعالى، لذلك قالت الملائكةُ: {سبحانكَ لا علمَ لنا إلاّ ما علّمتَنا}. فحيث لم يعلمهم أسماء تلك المسميات ولم يزودهم الله تعالى بسابق علمٍ ومعرفة لتلك المسميات، فلم يعرفوها ولم يعلموها، مع إنّ تلك المسميات والأشياء كانت أمامهم وتحت حواسهم كما كانت بالنسبة لآدم، ولم يختلف آدم عليه السلام عنهم إلاّ بما زُوّد به من سابق معرفة أو معلومات من عندِ الله تعالى، ساعدته تلك المعلومات والمعرفة الأولية على فهم تلك المسميات والأشياء فأنبأ الملائكة بذلك. إذن لا بدّ لفهم الواقع -أي القيام بعملية التفكير- من وجود أربعة أشياء: ١-دماغ الإنسان. ٢-واقع محسوس. ٣-الحواس السليمة. ٤- المعلومات أو المعرفة الأولية السابقة. فالواقع ينتقل بما له من صفات بواسطة الحواس إلى الدماغ، والدماغ يربط بين الواقع والمحسوسات، معتمداً على المعلومات الأولية السابقة ثم بعد ذلك يصدر حكمه على الواقع وذلك الحكم يسمى فكراً.. (الباليساني ١٩٨٩، ص١٦)

فالتفكير هو نقل الحسّ بالواقع إلى الدماغ بواسطة الحواس ووجود معلومات سابقة يفسر بواسطتها هذا الواقع. (تقي الدين ١٩٧٣، ص٢٦)

أي إنّ الإنسان يرى صفات الأشياء ويحُس بها ويسمعها، بواسطة السمع والبصر واللمس والذوق والشمّ، فيعرف صفاتها وحالاتها، فتنتقل تلك المعلومات إلى الدماغ بواسطة أجهزتها المعلومة، وهناك يحصل الربط بين ما وجد الآن وما سبق معرفته من قبل الدماغ، فيصدر الحكم على الشيء فتكون عملية التفكير. وبدون وجود معلومات سابقة لا يمكن أن يحصل التفكير. مثال ذلك: إن الإنسان إذا عُرض له ثلاثُ قطع مختلفة: نحاس وحديد وحجر، وأحسّ بها بحسب الطريقة المعروفة، ثم عُرضت عليه تلك القطع ثانيةً وثالثةً، فهو سيعرف أن إحداها حجر والأخرى حديد والثالثة نحاس، وهو إن لم يكن قد عرف عنها شيئاً سابقاً فلن يعرف عنها شيئاً بعدُ. ذلك لأنه يحتاج في معرفتها إلى معرفة سابقة بها. (الباليساني ١٩٨٩، ص١٧)

ويُعَدّ أرسطو من الفلاسفة الأوائل الذين فسرّوا عملية التفكير في ضوء مبادئ الارتباط العامة وهي: التشابه Similarity والتضادّ Contrast، والتجاور Contiguity ؛ فهو يشير إلى ذلك بقوله: (إننا عندما نفكر نوقظ بعض العمليات السابقة ونستمر حتى نستطيع استدعاء الخبرة السابقة، وعندها يظهر الشيء المطلوب، وهذا هو السبب في إننا عندما نفكر نستمر في تفكيرنا بحلقات تبدأ عن الشيء الذي في متناولنا، أو بأي شيء يكون مشابهاً له أو مضادّاً له أو مجاوراً له. (Pillsbury, 1934, P.: 30)

معرفة الله تعالى والإيمان به

لذلك فالتفكير الصحيح في الموجودات المحسوسة يصل بنا إلى الإيمان بالله تعالى.. وما هو مودَع في الإنسان بالفطرة تمثل المعلومات السابقة من أن لهذه الموجودات خالقاً خلقَها. قال تعالى: {وإذ أخذَ ربُّكَ من بَنِي آدمَ من ظُهُورِهِمْ ذُرّيتَهُمْ وَأشهَدَهُم عَلَىَ أنْفُسِهِمْ ألَسْتُ بِرَبّكُمْ ؟ قالُوا: بَلىَ!} الأعراف/ ١٧١. فجاء قول النَّبِيُّ صَلىَّ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلىَ الْفِطْرَةِ) (البخاري: ١٢٩٦) (مسلم: ٤٨٠٢) مُطابقاً لذلك. فالمعلومات السابقة هنا هي وجود الإحساس الفطري بخالق الموجودات، ذلك الإحساس الذي يفسر به ما ينقل بواسطة الحواس إلى الدماغ، من الإحساس بالكون والإنسان والحياة، على أنّ لها خالقاً خلَقها، وهو مبدِئُها ومدبّرُها، وبذلك تكون لدى المؤمن عقيدةٌ شمولية عن الحياة وما قبلها وما بعدها، تلك العقيدة التي تحل عقد الإنسان وتجعله يفكر تفكيراً شمولياً ومستمرّاً. (الباليساني١٩٨٩، ص٢٣)

فالمعلومات السابقة شرط مهم في عملية التفكير، ذلك لأنها لا تنطلق من فراغ، وهذا ما أكدته البحوث الغربية في القرن العشرين. فقد وصف (دي بونو De Bono) في كتابه (ميكانيكية العقل) الصادر في عام ١٩٦٩م كيفية عمل الدماغ بعدِّهِ شبكةً عصبية تتيح للخبرة أن تحقق تنظيماً ذاتياً عن طريق أنماط الإدراك، فالتفكير يتعامل بالإدراك، الذي يتمثل في التنظيم الذاتي للمعلومات الذي يختلف عن أنظمة المعلومات الخاملة التي اعتمدناها تقليدياً ونستعملها في أجهزة الحاسوب Computer، ذلك ان الدماغ ينظم المعلومات على شكل أنموذجات، وبعد ذلك يستدعي هذه المعلومات المنظّمة عند الحاجة ويوظفها. (De Bono, 1976, PP. 16 – 17)

ومن وجهة النظر الإسلامية يُضاف مصدر آخر هو (الخبر الصحيح) فالوحي عندنا، نحن المسلمين، لا يخضع لما ذُكر من المقاييس (كالتجربة) ولا يخضع للحواس، إلا أنه يُعدّ من أهم مصادر التفكير العلمي.

التفكير الناقد في ضوء الشريعة الإسلامية

ليس هناك شك في أنّ إعمال العقل والفكر في ما خلقَ اللهُ تعالى، والتبصر بحقائق الوجود، هي من الأمور التي عظّمَها الدين الإسلامي، لأنها وسائل الإنسان من أجل اكتشاف سنن الكون ونواميس الطبيعة وفهمها وتطويعها لسعادته، كما أنها وسائله في الاستدلال على وجود الخالق وعظمته وتوحيده

وفي استخلاص الدروس عبر التاريخ.(العزاوي، ٢٠٠٣م ص٦٢) وقد دعا القرآن الكريم إلى النظر العقلي، بمعنى التأمل والفحص وتقليب الأمر على وجوهه لفهمه وإدراكه، دعوةً مباشرةً وصريحةً لا تأويل فيها، وعدّها واجباً دينياً يتحمل الإنسان مسؤوليته، ويكفي أن نعرف عدد الآيات القرآنية التي وردت فيها مشتقات العقل ووظائفه والدعوة لاستخدامه، حتى نتوصل إلى نتيجة حتمية حول أهمية التفكير في حياة الإنسان.

١-آيات في العقل بالصيغة الفعلية	٤٤ آية
٢-آيات في النظر	١٢٢ آية
٣-آيات في البصر	١٤٣ آية
٤-آيات في التدبر	٤ آيات
٥-آيات في الفكر	١٨ آية
٦-آيات في الاعتبار	٧ آيات
٧-آيات تدعو إلى التفقه	٢٠ آية
٨-آيات تدعو إلى التذكر	٢٦٩ آية
المجمـــــــوع	٧١٧ آيــةً

فإذا عرفنا أنّ عدد آيات القرآن الكريم (٦٢٣٦) آية، سيكون ما يزيد عن (١٠٪) من آيات القرآن الكريم ذكرت مشتقات العقل ووظائفه والدعوة لاستخدامه.

تعليم التفكير والتدريب عليه:

لقد أصبح من وظيفة التربية أن تُعنى بتعليم الناس كيف يفكرون، وأن تحذرهم من مزالق التفكير الخطأ، وتدربهم على أساليبه السديدة.

وقد يُطرح سؤال: هل يحتاج الإنسان أن يتعلّم كيف يفكر؟ أوَ ليسَ الإنسانُ مفكراً بطبعهِ؟

والجواب عن هذا إن الإنسان بحاجة إلى تعلّم طرائق التفكير والتدرب على مهاراته، كحاجاته لأن يتعلم كيف يأكل وكيف يتكلم، وكيف يعامل الناس، وجميعها من أنواع السلوك التي يحتاج الإنسان في أدائها إلى كثير من الصقل والتدرب والتوجيه، حتى يسلك سلوكاً مقبولاً، (الدمرداش وكامل١٩٦٣، ص٢٨) وهذا هدف التربية. لأن التفكير (غريزة) فطرية من الله تعالى في الإنسان، فنحن جميعاً لا تكاد أذهاننا تخلو لحظةً من التفكير، وأن من المؤكد أن كل امرئ يفكر، وأن ذهنه لا يمكن أن يكون خالياً من شيءٍ يشغله. وتبقى المشكلة الرئيسة في التربية تكمن في الطرائق والأساليب التي يمكن بواسطتها تنمية التفكير العلمي، وتجعله أكثر فاعلية في حياة الإنسان، بتنظيم عمليات التفكير، على وفق ترتيبات معيّنة، وخطوات منَسَّقة مدروسة ومخطَطة.

ويؤكد نيكرسون (Nickerson, 1987) أنّ: كلاً منا يقوم بعمليات تفكيرية كالمقارنة والتصنيف والتنظيم والتقدير والاستكشاف، وغيرها من العمليات الذهنية، إلا أن ذلك لا يعني مطلقاً أن هذه العمليات تحصل بشكل جيد، وغالباً ما يقوم الفرد بها من دون تدريب سابق أو تعلم معين، (Nickerson، ١٩٨٧، P. ٢٨) فتغدو قليلة الجدوى. وبمعنى آخر هناك

فرق بين التفكير بشكله المعتاد والتفكير (الجيّـد)، ونحن عندما نسعى إلى تعليم التلاميذ كيف يفكرون فإنما نسعى إلى أن نعلمهم كيف يفكرون بشكل جيد، وإذا كان التفكير بشكله المعتاد فطرة طبعية خلقها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، فإن التفكير الجيّد شيءٌ آخر مختلف، وهو لا يتشكل عند المرء تلقائياً بل لا بد من تعلمه واكتساب المهارة فيه، ومن الملاحَظ أن كثيراً من الناس لا يُحسنون التفكير، ليس لأنهم يفتقرون إلى الذكاء أو تنقصهم القدرة العقلية، وإنما لأنهم لم يتعلموا الطرائق الخاصة بالتفكير الجيد، أو لم ينالوا التوجيه الصحيح ولا التدريب اللازم له. (المانع ١٩٩٦، ص٢٣-٢٤)

ولا شك أن المدرسة هي المؤسسة التعليمية الأساسية المنوط بها إعداد الأجيال الصاعدة، وهي أول مَن يواجه مطالب التغيير الاجتماعي والحضاري، ومن ضمن أهدافها تعويد الطالب طريقة التفكير العلمي والتفكير النقدي الذي يساعده على النظرة الموضوعية إلى مشاكل الحياة، ثم العمل على إزالة المعتقدات الفاسدة والآراء السقيمة، والتعصب الأعمى، والتخلص من أساليب التفكير الخرافي والتفكير التواكلي الذي يُعدّ مسؤولاً عن تقهقر القوى الفكرية في الأفراد والشعوب. (صالح ١٩٧٢، ص٤١٦)

وعلى هذا نجد القرآن الكريم يدعو من أول يوم إلى استخدام العقل استخداماً أمثل، للخروج من عالم الخرافات والتصورات السطحية المجانبة للحقائق التي سيُسال عنها الإنسانُ يوم القيامة، {إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤولاً} (الإسراء: ٣٦). ونعى على الذين لا يستعملون قواهم العقلية وحواسهم استعمالاً صحيحاً وشبههم بالحيوانات فقال تعالى: {أَمْ تَحسَبُ أنَّ أكثَرَهُم يَسْمَعُون أو يَعقِلُون، إنْ هُمْ إلاّ كالأنْعامِ بلْ هُمْ أضَلُّ سَبيلاً} (الفرقان: ٤٤) وذلك لأن التفكير الصحيح يحرر الإنسانَ من تبعية التقليد الأعمى، فيعكف على ما عكفَ عليه آباؤه من قبلُ منَ الأفكار الخاطئة والعقائد الباطلة التي ليس لها ما يؤيدها من الله من دليل أو برهان.

مقوّمات عملية التفكير الناقد:

ولتنمية هذا النوع من التفكير، لا بد من موضوعية العملية، وبُعدِها عن التأثر بنواحٍ معينة والعوامل الذاتية الأخرى، ومن هذه العوامل:

١) المؤثرات العاطفية: التي تحدث نتيجة ارتباط موضوع المناقشة بعلاقة ذات صلة انفعالية أو عاطفية بالفرد عند مناقشة الموضوعات المتعلقة بالسياسة أو الدين أو المشكلات الاجتماعية.

٢) الانصياع للآراء الشائعة بين الناس وتقبّـل الأفراد لها دون الرجوع إلى مصادرها الحقيقية وتقبلها دون نقد أو مناقشة. مما يعوّد الفرد على التفكير غير المستقل.

٣) التعصّب: ويظهر في تقيد الفرد وتمسّكه بآراء معينة قبل عرضها على بيانات أو وقائع، أو من خلال الحكم على موضوعٍ ما نتيجة اعتقاد مكوَّن من خلال

تنشئة الفرد الاجتماعية وخبراته الذاتية.

٤) القفز إلى النتائج: يظهر في عدم التسلسل المنطقي في معالجة الموضوعات، والوصول إلى نتائج غير مبنية على أدلة وشواهد كافية أو لم يؤخذ بناؤها المنطقي السليم في الحسبان.(صالح١٩٧٢م ص٤٨٩ - ٤٩٠)

والتفكير الناقد يؤدي إلى فهم عميق للمحتوى المعرفي الذي يتعلمه الطلبـة، وإنّ توظيفه في التعلم يحوّل عملية اكتساب المعرفة من عملية خاملة إلى نشاط عقلي يُفضي إلى إتقانٍ أفضل للمحتوى المعرفي المتعلَّم، والى ربط عناصره بعضها ببعض، وقد يؤدي تنمية التفكير الناقد لدى الطلبة إلى الاستقلال في تفكيرهم والى تحررهم من التبعية وضبطهم، الأمر الذي ينشأ عنه أن تكون أفكارهم أكثر دقةً وصحةً، والتدريب على التفكير الناقد يدرب الطلبة على صنع القرارات الحياتية، مما يلبي حاجةً أساسيةً للمجتمع متمثلةً في تكوين فرد مستنير في رأيه يعتقد ما هو سليم وصحيح، وينزع إلى التصرف بتعقل وحكمة.(الهزّاع، ١٩٩٩م: ص٢٥-٢٦)

عناصر التفكير الناقد:

يرى بعض الباحثين أن للتفكير الناقد عناصر أساسية يتكون منها، وهي:

١) مجموعة من الوقائع أو المشاهدات إزاء موضوع خارجي سواء أكان فرداً أم حادثةً، أم موقفاً.

٢) توخي الدقة في جمع المعلومات والبيانات، كأن يعتمد فيها لأكثر من مصدر.

٣) التقيّـد بإطار مرجعي في المناقشة والموازنة.

٤) أن تجري موازنة عناصر الموقف، بعيداً عن التحيز والآراء الشخصية والمعتقدات الخاصة.

٥) استخلاص النتيجة من المقدمات على أصول المنطق وقواعد الاستدلال العلمي.

٦) يتـم تقويم الموضوع داخل إطاره الخاص. (صالح، ١٩٧٢م، ص٤٩٠)

العوامل التي تسهل عملية التفكير الناقد، والعوامل التي تعيقه:

لابد لتسهيل عملية التفكير الناقد من توافر عوامل مهمة، مثل:

١. القدرة على الاستدلال المنطقي.
٢. القدرة على تقييم الحجج والأدلّة.
٣. القدرة على تعرّف الافتراضات.
٤. القدرة على التمييز بين المقدمة والنتيجة.
٥. القدرة على القياس والاستنباط والاستنتاج.
٦. القدرة على معرفة معاني الأشياء.
٧. القـدرة على التحليـل.
٨. القـدرة على الحرية في التفكير.

و ما يعوقها من معوقات، مثل:

١. التسرّع في إصدار الأحكام.
٢. التعصب.
٣. الميول الشخصية (الهوى).
٤. مسايرة الاتجاهات الشائعة دون تدبّـر.
٥. التفكير الجـامد.

(كفاني، ١٩٨٣م، ص٢٢٢)

خصائص المفكر الناقد:

للشخص الذي يفكر تفكيراً ناقداً خصائص منها أنه:

١-منفتح على الأفكار الجديدة.

٢-يعرف متى يحتاج إلى معلومات أكثر، حول شيءٍ ما.

٣-لا يجادل في شيءٍ لا يعرف عنه شيئاً.

٤-يفرق بين نتيجة ربما تكون صحيحة، وأخرى لابد أن تكون صحيحة.

٥-يعرف أن لدى الناس أفكاراً مختلفة حول معاني الكلمات.

٦-يحاول تجنب الأخطاء الشائعة في استدلاله على الأمور.

٧-يتساءل عن الشيء غير المعقول وغير الواضح لديه.

٨-يحاول فصل التفكير العاطفي عن التفكير المنطقي.

٩-يحاول بناء مفرداته اللغوية بمستوى يتناسب مع أفهام الآخرين، ونقل أفكاره بوضوح.

١٠-يتبنى موقفاً، ويتخلّى عن موقف بحسب كفاية الأدلةِ وأهميتِها.

١١-يبحث عن الأسباب والبدائل.

١٢-يتعامل مع مكونات الموقف المعقد بطريقة منظّمة.

١٣-يستخدم مصادرَ علميةً موثقة ويشير إليها بأمانة.

١٤-يبقى على صلة بالنقطة الأساسية أو جوهر الموضوع، مهما توسّعَ. (جروان ١٩٩٩م، ص٦٣-٦٤)

معايير التفكير الناقد:

لوزن عملية التفكير الناقد وضع بعضهم معايير عدة، أهمها:

١- الوضوح Clarity	٥- العمق Debth
٢-الصّحّة Accuracy	٦- الاتّساع Breadth
٣- الدّقّة Precision	٧- المنطق Logic
٤- الرَّبط Relevance	(جروان، ١٩٩٩م، ص٧٨ - ٨١)

تعليم التفكير الناقد:

لأهمية التفكير الناقد أوصى المربون بتعليمه، سواء بتدريسه عبر محتوى المواد الدراسية، أو بشكل مستقل عنه. ولكن جرت عادة البحوث على تدريس مواد تضمن مشكلات اجتماعية أو سياسية أو عقائدية، أو غيرها مما يهتم به الطلبة وله مساس بحياتهم، ولا تشترط هذه الطريقة محتوى معرفياً معيناً بذاته.

ذكرَ (أنِس Ennis) ثلاثَ طرائقَ يؤدي استخدامُها إلى تعلم التفكير الناقد هي:

الأولى/ الطريقة العامة:

يتم عن طريقها تعليم مهارات هذا النوع من التفكير واتجاهاته، بشكل مستقل عن المحتوى المعرفي للمواد الدراسية المختلفة. أي يمكن أن تتم العملية

بغض النظر عن المادة الدراسية، وأثبتت البحوث أنه بالإمكان تعليم التفكير الناقد بالمواد الإنسانية زيادةً على المواد العلمية البحتة.

الثانية/ طريقة المحتوى: ويمكن تنفيذها بأسلوبين:

أحدهما: تعليم الطلبة أن يفكروا تفكيراً ناقداً في موضوعات المادة الدراسية، مع التركيز بشكل صريح على المبادئ العامة التي تقوم عليها قدرات التفكير الناقد واتجاهاته.

والآخر: ينغمس الطلبة في الموضوع وبشكل يشجع التفكير، إلا أن المبادئ العامة للتفكير الناقد لا تُعطى لهم بشكل صريح، بمعنى أن يوفر لهم المدرس جواً يتسم بالتفكير عامةً لتعلم عناصر المحتوى التعليمي المختلفة للمادة الدراسية أياً كانت. دون أن ينبههم إلى المبادئ والمعايير التي تميز أنواع التفكير السائدة في الصف.

الثالثة/ الطريقة المختلطة: تجمع هذه الطريقة بين الطريقة العامة وأحَد أسلوبَي طريقة المحتوى. ويُعَدّ (أنِس) من أنصار هذه الطريقة. (عنابي١٩٩١، ص٤-٥)

الخاتمة

نحن في حاجة اليوم إلى فهمٍ تربوي يهتمّ بعرض الظواهر والأحداث والأقوال والنصوص المأثورة بظروفها وملابساتها المختلفة، بإثارة الأسئلة السابرة لتحليل هذه الظاهرة أو الحدث أو النص المدروس والتعمق في اتجاهاته المختلفة. ومثل هذا الأسلوب يزرع الوعي في العقول الناشئة المرنة، وينمي فيها قدرات التعليل والتحليل والنقد، ويوسع آفاقها، وينقذها من أسر التقليد إلى برّ الاتباع الواعي والالتزام المنطقي، مقروناً بفقه الواقع وروح العصر، مقيَّداً بمقاصد النصوص الشرعية من الكتاب والسّنّة.

ويستطيع الباحث أن يثبت الأمور الآتيـة:

١- إنّ عملية التفكير الذي هو صفة الإنسان العاقل، يتدرج أيضاً في سُلّم الممارسة والتدريب على دراسة الظواهر والأقوال والنصوص، وتحليلها إلى أجزائها التي تكونت منها، فيربط الإنسان المتعلم بين العلة والمعلول، وبين المقدمة والنتيجة، ويميز بين الخبر الصادق والخبر الكاذب.

٢- تتبّعَ الباحث آيات القرآن الكريم فوجد أن الغالب الأعم فيها يدعو إلى إعمال الفكر والتجرد عن الهوى والتعصب، في عملية التفكير الهادية إلى الخالق الجليل، وإلى بديع آياته في كتاب الكون المفتوح حتى يصل إلى التفكير بصاحبه إلى معنى قولهم:

وفي كُـلِّ شَـــيْءٍ لـــهُ آيـــةٌ
تـــدُلُّ عَـــلَى أنّـــهُ واحِـــدُ

لذا عدّ الإسلام التفكير عبادةً من العبادات التي يُتقرَّب بها إلى الله عز وجل.

٣- وهكذا يرى الباحث أن ثمة علاقة بين أسلوب التدريس في التربية الإسلامية وتنمية التفكير، وهذه العلاقة الرابطة نابعة من عناية القرآن والسنة بالعقل والحضّ على التفكير السليم.

٤- وبناءً على هذا ينبغي للمدرس الذي يحرص على الأداء الجيد في التدريس، بأن يتمرن على صياغة السؤال المثير للتفكير في مستوياته العليا، المناسب للهدف المراد تحقيقه، ويخطط لذلك، على وفق قواعد علم القياس والتقويم.

٥- الغاية العظمى من التفكير، الذي هو محور التربية والتعليم، هي معرفة الحقائق وأهمها معرفة الخالق سبحانه وتعالى، بالطريقة التي تخدم رسالة الإنسان على الأرض في الخلافة والحكم بما أنزل الله.

٦- وهذا التفكير المبني على الحقائق دون الخرافات، وعلى التمييز بين ما يتعلق بعالم الغيب مما يتحمله العقل السليم وجاء به الخبر الصادق، وبين الأوهام وما هو مقطوع عن الدليل. وهذا ما يُصطلح عليه التفكير العلمي، أي المبني على الدليل المعقول أو المنقول نقلاً صحيحاً ولا يتصادم مع العقل.

٧- وعليه كانت قراءةُ آيةٍ بتدبّر.. خيرٌ من قراءة القرآن كلِّهِ بلا تدبّر، لأنّ التدبر يهدي إلى العمل الصحيح، وهذا يهدي إلى الجنة ورضى الله تعالى.

٩- والتفكير مهارة يمكن التدرّب والتدريب عليها بالتأمل بآيات الله المبثوثة في آفاق هذا الكون والنفس البشرية، في ضوء آيات الله في القرآن الكريم، ويمكن تنمية أنواع من التفكير بأساليب عدة لصياغة الأسئلة، وبمقاييس وضعت لقياس أنواعٍ عدة من التفكير.

١٠- القرآن والسنة النبوية خزائن حافلة بأساليب التعليم والتربية لَمن أراد اكتشافها.

المصـــادر

١. ابن ماجة، الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (بلا تاريخ) سنن ابن ماجة، دار الفكر، بيروت –لبنان، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢. أبو حطب، فؤاد عبد اللطيف، وعثمان، سيد أحمد، (١٩٧٢ م)، التفكير – دراسات نفسية، مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة – مصر.

٣. أبو فارس، محمد عبد القادر، (١٩٨٨م)، حكم الشورى في الإسلام ونتيجتها، ط، ١دار الفرقان عمّان ـ الأردن

٤. الباليساني، أحمد الشيخ محمد طه، (١٩٨٩م)، التفكير في الإسلام، ط، ١دار الحرية، بغداد – العراق.

٥. البخاري، الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجُعفي، (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، الصحيح الجامع المسنَد لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأيامه وأمواله، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير – اليمامة، دمشق – سورية وبيروت– لبنان.

٦. _____، الأدب المفرد، (بلا تاريخ) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر، ط٣، بيروت– لبنان.

٧. بديوي، يوسف، وقاروط، محمد محمد، (١٤٢١هـ – ٢٠٠١م)، تربية الأطفال في ضوء القرآن والسّنّة، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ط١ دمشق–سورية.

٨. الترمذي، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى

بن سورة، (بلا تاريخ)، الجامع الصحيح أو سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان.

٩. تقي الدين، محمد، (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) التفكير، ط١، بغداد - العراق.

١٠. جروان، فتحي عبدالرحمن، (١٩٩٩م)، تعليم التفكير- مفاهيم وتطبيقات، دار الكتاب الجامعي، عمّان _ الأردن.

١١. الجنابي، فاضل زامل صالح، (١٩٩٢م)، التفكير الناقد لدى طلبة جامعة بغداد وعلاقته بأساليبهم المعرفية. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد - كلية التربية (ابن رشد)، بغداد - العراق.

١٢. الدمرداش، سرحان، وكامل، منير، (١٩٦٣م)، التفكير العلمي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.

١٣. دي بونو، أدوارد، (١٩٩٨م): برنامج الكورت لتعليم التفكير، ترجمة ناديا هايل السرور وآخرين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان ـ الأردن.

١٤. راجح، أحمد عزت، (١٩٦٠م) أصول علم النفس، مؤسسة المطبوعات الحديثة، ط٤.

١٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الضاحية - الكويت.

١٦. صالح، أحمد زكي، (١٩٧٢م) الأسس النفسية للتعليم الثانوي، دار النهضة العربية، القاهرة - مصر.

١٧. العاني، زياد محمود، (٢٠٠١م) أساليب الدعوة والتربية في السّنّة النبوية، (أطروحة دكتوراه منشورة)، شركة الرَّشَد للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد - العراق.

١٨. عبد الحليم، عصام نجيب، (١٩٩٦م)، التفكير الإبداعي لدى كليات المجتمع في الأردن، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القديس يوسف، بيروت -لبنان.

١٩. عبد الله، عبد الرحمن صالح، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، المرجع في تدريس علوم الشريعة، مؤسسة الورّاق، ودار البشير، عمّان ـ الأردن.

٢٠. عنابي، حنان أيوب، (١٩٩١م)، مظاهر التفكير الناقد في التدريس الصفي لمعلمي الرياضيات في المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير غير منشورة، عمّان - الجامعة الأردنية.الغزالي ١٩٩٣،

٢١. القرضاوي، يوسف (١٩٩٠م)، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٢٢. قطامي، يوسف، وخالد الشيخ (١٩٩٢م)، نماذج التدريس الصفي، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع عمّان ـ الأردن.

٢٣. قطب، سيد، (١٩٧٨م) في ظِلال القرآن، الطبعة الشرعية السابعة، دار الشروق، بيروت ـ لبنان.

٢٤. قطب، محمد، (١٩٨٨م)، منهج التربية الإسلامية، ج١، ط١١، دار الشروق، بيروت ـ لبنان.

٢٥. القيسي، تيسير خليل، (٢٠٠١م)، أثر خرائط المفاهيم في تحصيل طلبة المرحلة الأساسية وتفكيرهم الناقد في الرياضيات، أطروحة دكتوراه غير منشورة،

جامعة بغداد كلية التربية (ابن الهيثم) ـ بغداد – العراق.

٢٦. كفافي، علاء الدين، (١٩٨٣م)، معوقات التفكير النقدي، العلاقة بين التفكير النقدي وبعض المتغيرات السايكولوجية، حولية كلية التربية، جامعة قطر، السنة الثانية، العدد ٢، قطر

٢٧. المانع، عزيزة، (١٩٩٦)، تنمية قدرات التفكير عند التلاميذ (اقتراح تطبيق برنامج كورت للتفكير) مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربية لدول الخليج، العدد (٥٩) السنة (١٧)، الرياض – المملكة العربية السعودية.

٢٨. مسلم، الإمام أبو الحُسين مُسلم بن الحَجّاج القُشَيري النَّيسابوري، (بلا تاريخ) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان

٢٩. نجاتي، محمد عثمان، (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م)، القرآن وعلم النفس، ط٢دار الشروق، بيروت – لبنان والقاهرة – مصر.

٣٠. النحلاوي، عبد الرحمن، (١٤٢٢هـ ٢٠٠١م)، أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر المعاصر في بيروت – لبنان، ودار الفكر في دمشق – سورية. ط٢

٣١. الهَزّاع سناء مجُول فيصل، (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م)، أثر برنامج تدريبي لتنمية مهارات التفكير العلمي لطلبة المرحلة المتوسطة، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد – كلية الآداب، بغداد – العراق

٣٢. الوهر، محمود، وهند الحموري، (١٩٩٨م)، تطور القدرة على التفكير الناقد وعلاقة ذلك بالمستوى العمري والجنس وفرع الدراسة، دراسات العلوم التربوية، م٢٥، ع١، ١٩٩٨م، ص (١١٢ – ١٢٦).

المصادر الأجنبيـة

1- De Bono, E. (1976): Teaching Thinking. 1st. Ed., European Services, Ltd., England.

2- Good, G. V.; Dictionary of Education. 3rd New York. ed, Mc Graw – Hill, 1972.

3- Nickerson, R. S. (1987), "Why Teach Thinking" J. Baron and R. Sternberg (ed.) Teaching Thinking Skills, New York, W. Freeman.

4- Pillsbury, W. B. (1934): The History of Psychology. London, George Allen.

5- Unks, Gerald. Critical Thinking in the Social Studies Classroom. Do We Teach It? Journal of Social Education. Vol. 49. No. 3, 1985.

6- Watson, G. B. and Glasser. E. M. Watson – Glasser Critical Thinking Appraisal, Harcourt, Brace and World. Inc., New York 1964.